معاهدات الصلح التي عقدها الرسول(ص) مع النصارى

د جاسم صكبان علي
جامعة بغداد/ كلية التربية للبنات/ قسم التاريخ

الخلاصة:
عقد الرسول(ص) عدة معاهدات ومحالفات مع النصارى لتنظيم علاقتهم مع الدولة العربية الاسلامية .وبمرور الزمن ادخل بعض النصارى عليها تغييرات وتبديلات بأضافة امتيازات وامور اخرى وظلوا ينسبونها للرسول (ص) لتحقيق بعض المكاسب لدى بعض الحكام المسلمين .او لتجنب بعض ما قد يلحق بهم من اخطار قد يمارسها ضدهم بعض هؤلاء الحكام .وهي اخطاء نتيجة اجتهادات خاطئة او ظروف صعبة مر بها هؤلاء الحكام .لكنها لم تكن جزئاً من سياسة الدولة العربية الاسلامية ضدهم .

وقد فضل الرسول(ص) النصارى على غيرهم من اهل الكتاب لعدم معارضتهم للدعوة الاسلامية في مراحلها الاولى.ولاحتضانهم لمهاجري الحبشة .ولعدم مجاهرتهم بمخالفة الاسلام كما فعل اليهود ووقوفهم على الحياد في صراع المسلمين ضد قريش .في حين انظم اليهود علناً الى جانب قريش في هذا الصراع ؛وبذلوا كل ما في وسعهم لمساندة قريش ضد الاسلام .

وقبل الكثير من النصارى الدخول في الاسلام .وظل اخرون على نصرانيتهم وتمتعوا في ظل الاسلام بحرية التعبد وممارسة الطقوس الدينية .وحفظ الاسلام ارواحهم وممتلكاتهم .واعطاهم حرية العمل ضمن القوانين الشرعية الاسلامية .

تعد العهود والمحالفات الواردة في المصادر العربية الاسلامية الاولية صحيحة لا غبار عليها ؛ لصمودها امام النقد التاريخي ولعدم تجرأ الرواة على ادخال تغييرات وتبديلات عليها .لعدم حاجتهم الى ذلك ,ولقدسيتها باعتبارها جزءاً من السيرة النبوية الشريفة.اما تلك العهود والمواثيق التي وردت في المصادر السريانية ؛فقد ادخل عليها السريان تغييرات وتبديلات تخلصاً من بعض الواجبات المالية .او تجنباً لسياسة بعض الولاة او لغرض إظهار أفضلية مذهب نصراني على اخر .

Peace treaties between the Prophet Muhammad And the Christians

Dr.Jassim Sagban Ali
Baghdad university / Education college for women/ History dept.

Abstract:
The Prophet wrote many contracts and a military alliance with the Christians in order to organize their relationship with the Islam . Later on , some Christians made many changes on the contracts and the military alliance by adding some privileges , and said that the prophet gave it to them , in order to get some privileges or to be away from some dangers .

The Prophet had preferred the Christians more than other Dhimes for many reasons:-
1.they did not resist the Islamic religion in the first stages .
2-they welcomed the Muhajrian in Habasha .
3-they were not stand against Islam openly as the Jewish had done .
4-they were neutral in the wars that had took place between the Muslims and Quraish . while the Jewish had sided Quraish in that wars .

The contract and the military alliance that were related in the early Islamic sources were true . because they stayed reliable in spite of the historical criticism .while that contract and military alliance in Asyriac sources had forget for many reasons .

A Great number of Christians embraced Islam ,while others remained as people of Dhima . They were free in their warship in their life and possessions . The Muslims gave them liberty of work according to Islamic sharia .

دخلت النصرانية الى شبة الجزيرة العربية قبل الاسلام عن طريق الاحباش في الجنوب والخليج العربي في الشرق.وعن طريق الانباط في الشمال. ووجدت كنيسة كبرى باليمن واخرى في صحارى بعمان.ولم تُبدِ المجتمعات النصرانية عداءً للاسلام.وقد رغب قسم منها في الاطلاع على الاسلام ومعرفة مبادئه؛وقد وفد على الرسول (ص)وهو في مكة نصارى من الحبشة ليتعرفوا على دعوة الاسلام .وقد اسلم هذا الوفد ونزل فيهم قوله تعالى في سورة المائدة "ذلك بان منهم قسيسين ورهباناً وانهم لا يستكبرون..."[١] .جاء في السيرة النبوية لابن هشام :-"ثم قدم على النبي(ص) وهو بمكة عشرون رجلاً او قريب من ذلك من النصارى حين بلغهم خبره من الحبشة .فوجدوه في المسجد .فجلسوا اليه وكلموه وسألوه ورجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة .فلما فرغوا من مسألة الرسول(ص) عما ارادوا دعاهم الرسول(ص) الى الله عز وجل وتلا عليهم القرآن .فلما سمعوا القرآن فاضت اعينهم بالدمع ثم استجابوا لله وامنوا به وصدقوه"[٢] .وعلى الرغم من تأكيد ابن شهاب الزهري ان قوله تعالى السابق الذكر نزل في النجاشي واصحابه الا ان ابن اسحاق يورد رواية اخرى غير مسندة بصيغة التعريض حيث يقول :-"ويقال ان النفر من النصارى من اهل نجران "[٣] .

ويرى ابن اسحاق ان النصارى الاحباش سمعوا بالاسلام من الحبشة فشدوا الرحال الى مكة ليطلعوا على الاسلام وليتأكدوا عما سمعوا .ومن المؤسف ان تاريخ وصول الجماعة غير معروف وعلى الرغم من ان خبرهم في السيرة النبوية لابن هشام ورد بعد ذكر هجرتي الحبشة .مما يدل على ان مهاجرة الحبشة كانوا قد حققوا نجاحاً ملموساً في الدعوة للاسلام .وقد برر هذا النجاح بقاء جعفر بن ابي طالب واصحابة في الحبشة حتى فتح خيبر .

وقد حرص الرسول(ص) على مهادنة هذه المجتمعات ومحالفتها ,فعلى سبيل المثال فقد كتب الرسول الى مريحنه (مارحنا) بن رؤبة وسروات اهل ايلة والعقبة :-" سِلم انت فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو ؛فاني لم اكن لاقاتلكم حتى اكتب اليكم فاسلم او اعطِ الجزية .واطع الله ورسوله ,ورسل رسوله واكرمهم واكسهم كسوة حسنة غير كسوة الغزاة ,واكسِ زيداً كسوة حسنة فمهما رضيت رسلي رضيت ,وقد عُلم الجزية فان اردتم ان يأمن البر والبحر فاطع الله ورسوله .ويمنع عنكم كل حق كان للعرب والعجم الا حق الله وحق رسوله,فاني رسول الله بالحق , اومن بالله وكتبه ورسله والمسيح بن مريم ,انه كلمة الله .واني امن به انه رسول الله وائتِ قبل ان يمسكم الشر ,فاني قد اوصيت رسلي بكم .واعطي حرمله ثلاث اوسق شعير "[٤] وان حرمله شفع لكم ,اني لولا الله وذلك ؛لم ارسل لكم شيئاً حتى ترى الجيش .وانكم ان اطعتم رسلي فان الله لكم جار ومحمد ومن يكون منه.

وان رسلي شرحبيل وأبيُ وحرمله وحُريث بن زيد الطائي .فانهم مهما قاضوك عليه فقد رضيته .وان لكم ذمة الله وذمة محمد رسول الله"[٥] .

ولما كانت هذه الرساله تحوي على حقوق وواجبات للنصارى ,وبعيده من التهديد والوعيد ,وتخلو من امور تفضل فئة على اخرى وفيها امور تتفق مع طبيعة الاسلام.اصبح قبول معضمها امراً لا لبس فيه ولاسيما وان اسلوبها هو الاسلوب العربي المألوف في عصر الرسالة .وهناك امور من المحتمل انها اضيفة اليها فيما بعد ,مثل وصايا الرسول برسله اذ لم يعتد الرسول ان يوصي من يراسله بالاحسان الى رسله واكرامهم واعطائهم اشياء مادية

وعندما غزا الرسول(ص) تبوك سنة ٩هـ /٦٣٠م اعطى العهد والامان للنصارى ,فقد جاء ملك ايله ,يوحنا بن رؤبه المار ذكره لمفاوضة الرسول ونجحت تلك المفاوضات وقبل يوحنا دفع جزية مقدارها ٣٠٠ دينار في السنة"[٦] .وكتب الرسول (ص) لهم عهداً :-"هذه امنه من محمد رسول الله ليحنه بن رؤبه واهل ايله لسفنهم وسائرهم في البر والبحر لهم ذمة الله وذمة محمد رسول الله ولمن كان معه من اهل الشام واهل اليمن واهل البحر و من احدث حدثاً فانه لايحول ماله دون نفسه .وانه طيب لمن اخذه من الناس .وانه لا يحل ان يمنعوا ماء يريدونه ولا طريقاً يريدونه من بر او بحر..."[٧] .

ولما كان اسلوب هذا العهد سلساً فصيحاً مانعاً بريئاً من الاطناب والتكلف وعن الصناعات اللفظية ,وهو الاسلوب العربي الاصيل في عصر الرسالة,فان هذا يبعث على الاعتقاد بصحة هذا العهد .

وقدم اكيدر بن عبد الملك ,رجل من كنده ,وكان ملكاً على دومة الجندل :-"فحقن له دمه وصالحه على الجزية"[٨]

وجاء الى الرسول(ص) وفد من اهل نجران يتكون من اهم الشخصيات فيها وهم :-العاقب (ربما كان الحاكم المدني) وكان من قبيلة كنده ويدعى عبد المسيح . والراهب وهو ابن الحارث بن علقمه ,من قبيلة ربيعه .والسيد ابن الحارث,وعقدت معاهدة سلام تعهد فيها الرسول(ص) بعدم التدخل في شؤنهم الدينية او ممتلكاتهم الكنسيه ولا يدخل ارضهم جيش .واعطاهم ذمة الله ورسوله على اموالهم وانفسهم وعشيرتهم وارضهم ,على ان يدفعوا الفي ثوب في كل رجب مع كل ثوب اوقية من الفضة .وعليهم مئونة المسلمين وحمايتهم عشرين يوماً فما دون ذلك . وعليهم في حالة الحرب ان يعيروا المسلمين ثلاثين درعاً وثلاثين فرساً وثلاثين بعيراً .وليس عليهم ان يشتركوا في الحرب وهو ضمين على المسلمين حتى يرده لهم ."[٩]

وعاد العاقب والسيدان اللذان كانا في وفد نجران بعد مدة وجيزة الى المدينة المنورة واعلنا اسلامهما"[١٠] .

وارسلت قبيلة تغلب العربية النصرانية والتي كانت تسكن الجزيرة الفراتية وفداً للرسول (ص),وبعد ان تفاوض الوفد مع الرسول (ص) اقر الرسول الاعتراف بنصرانيتهم على ان لا ينصروا اولادهم"[١١]" وجوزهم بجوائز فرحلوا الى الجزيرة الفراتية فرحين مسرورين .ولم يطلب الرسول من تغلب ان تدفع اي شيء للمسلمين .وكان الرسول(ص) راغباً في ارضائها لمجاورتها للبيزنطيين ولذا فقد رغب في ابعادها عن محالفتهم ضده ولاسيما انها كانت من اقوى القبائل العربية ؛فقد قالت العرب :-" لو ابطأ الاسلام لابتلعت تغلب العرب"[١٢]" ولذا فان ما قام به الرسول(ص) كان امراً لا بد منه .

وكتب الرسول (ص)لاهل اذرح :-"هذا كتاب لاهل اذرح ,انهم امنون بامان الله ومحمد ,وان عليهم مائة دينار في كل رجب واوقية طيبة .والله كفيل عليهم بالنصح والاحسان للمسلمين ومن لجأ اليهم من المسلمين من المخافة والتعزيز ,اذا فشوا على المسلمين .وهم امنون حتى يحدث اليهم من قبل خروجه "[١٣]"

وكتب الى بني حبيبه والى اهل مقنى :-"اما بعد فقد نزل علي اتيكم راجعين الى قريتكم فاذا جاءكم كتابي هذا فانكم امنون ,لكم ذمة الله وذمة رسول الله .وان رسول الله غافر لكم سيئاتكم .وكل ذنوبكم وان لكم ذمة الله وذمة رسول الله .لا ظلم عليكم ولا عدي .وان رسول الله جار لكم مما منع من نفسه .فان لرسول الله بزكم وكل رقيق فيكم والكراع والحلقه الا ما عفى عنه رسول الله او رسول رسول الله وان عليكم بعد ذلك ربع ما اخرجت نخلكم .وربع ما صادت عرككم وربع ما اغتزل نسائكم .وانكم برئتم بعد من كل جزية او سخرة . فان سمعتم واطعتم فان على رسول الله ان يكرم كريمكم ,ويعفو عن مسيئكم .اما بعد فالى المؤمنين والمسلمين :- من اطلع على اهل مقنى بخير فهو خير له ومن اطلعهم بشر فهو شر له .وان ليس عليكم امير الا من انفسكم او من اهل رسول الله والسلام"[١٤]" .ويذكر البلاذري ان هذا العهد كتبه علي بن ابي طالب (ع)"[١٤]" .

ويتسرب الشك الى هذا العهد حيث وردت فيه الفاظ ومصطلحات لم ترد في كتب الرسول (ص) الاخرى امثال لفظة سخرة وكذلك ورود امور لم يتطرق اليها الرسول في معاهداته المعروفة مثل غفران الذنوب والسيئات ,اذ لم يعتد الرسول(ص) ان يتعهد في القيام بذلك .ولم يؤثر عنه انه كان يعين على اهل مدينة او ولاية عقدت الصلح اميراً عليها من اهلها او من اهله يضاف الى ذلك فان الامام علي (ع) لم يكم قد حضر مع النبي (ص) تبوك فكيف يذكر انه كان قد كتب هذا الكتاب وهو لم يحضر الواقعة ولذا يمكن القول بان هذا العهد مفتعل ولا يقف امام النقد التاريخي

ودراسة مراسلات الرسول مع القبائل العربية ,التي كان اغلبها في النصرانية , وعهوده التي قطعها لهذه القبائل تبين ان الرسول (ص) كان قد أأتلف القبائل العربية القاطنة في شمال الجزيرة العربية امثال سعد هذيم وعذره وجذام وقضاعة وبالي وبهراء ولخم وغسان وكلب وايله "[١٥]" . ولعل ذلك يعود الى رغبة الرسول(ص) في محالفة هذه القبائل النصرانية وضمها الى جانب المسلمين ضد الفرس . وبذل مساعي كبيرة لتحقيق هذا الهدف مشيراً الى الروابط العقائديه بين المسلمين والنصارى . وقد كشفت رسالته الى اسقف الروم (ضغاطر الاسقف) التقرب الدبلوماسي حيث ورد في الرسالة "...فان عيسى بن مريم روح الله وكلمته القاها الى مريم الزكيه وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى ,وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد ونحن له مسلمون..."[١٦]" .وتعد هذه الرسالة محاولة لتحديد موقف الاسلام من النصرانية ليفوز بتأييد الاسقف .ويبدو ان هذه القبائل كانت حريصة على البقاء على حالها على الرغم من الضرورات الستراتيجية الاسلامية في التوسع نحو العراق والشام."وقد تحدد موقف الاسلام العام من النصرانية على ضوء موقف قبائل الشمال التي كانت في غالبيتها نصرانية .وحلت العلاقات الطيبة محل العداوة"[١٧]" .ثم انضمت هذه القبائل الى الروم في غزوة مؤتة"[١٨]" مما دفع الرسول(ص) الى تغيير سياسته تجاه النصارى في غزوة تبوك سنة ٩هـ /٦٣٠م اذ قال تعالى:-"قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون بالحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون.وقالت اليهود عزير ابن الله. وقالت النصارى المسيح ابن الله .ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل.قاتلهم الله انى يؤفكون.اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الهاً واحداً لا اله الا هو سبحانه عما يشركون. يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون"[١٩]" . وبذا يكون الاسلام قد بدأ سياسه جديده تمتاز بالصرامة تجاه النصارى وقد عبر الاسلام عن هذه السياسة في غزوة تبوك .

وعقدت القبائل العربية النصرانية في جنوب شبه جزيرة العرب ووسطها معاهدات مع الرسول ,ودفع قسم منها الجزية لقاء تمتعهم بالعهد والامان"[٢٠]" ,فعلى سبيل المثال فقد كتب الرسول(ص) في سنة ٩هـ/٦٣٠م بعد عودته من تبوك الى رسول ملوك حمير (الحارث بن عبد كلال,ونعيم بن عبد كلال ...الخ) "...ومن كان على نصرانيته فانه لا يفتن عنها وعليه الجزية ,على كل حالم ذكر او انثى,حر او عبد ,دينار وافٍ او قيمته من المعافر ـ ثياب اليمن ـ ..فمن ادى ذلك الى رسول الله (ص) فان له ذمة الله وذمة رسوله ,ومن منعه فانه عدو لله ولرسوله ."[٢١]" ولما كانت

هذه المعاهده لا تتضمن الا الحقوق والواجبات ولم توضع لتكون مفخره لقبيلة على اخرى فانها على الارجح صحيحة .

ويبدو ان سياسة الرسول (ص) مع نصارى جنوب شبه جزيرة العرب تشبه سياسته مع نصارى شمال شبه جزيرة العرب اي انه سمح لهم مع بقائهم على نصرانيتهم بالدخول بامان المسلمين وعهدهم على ان يدفعوا الجزية .

ويختلف موقف نصارى الجنوب عن موقف نصارى الشمال حيث دعمت الامبراطورية البيزنطية نصارى الشمال ,اما نصارى الجنوب فانهم بعد نصف قرن من الدعم الحبشي لهم (من٥٢٥ م ــ٥٧٥ م)خضعوا للفرس .وكان الفرس على الزرادشتية ولهم علاقات سياسية مع يهود اليمن .وكانوا يميلون الى النساطرة من الع ضد اليعاقبة . وكان للحرب البيزنطية الفارسية اثرها على اضعاف الفرس , ولذا فلم يعد هناك سبب قوي يحول دون قبول نصارى الجنوب حتى النساطرة منهم عرض الرسول(ص) لهم (الاسلام او الجزية)"٢٢" .

وزعم في خبر نصراني ان الفطريرك النسطوري في المدائن ,ايشيو عياب الثاني (ت ٢٥هـ/٦٤٥م) قد كاتب الرسول (ص) واخذ منه العهد والذمام لجميع النصارى في البلدان التي تملك عليها هو واصحابه من بعده, ان يكونوا في حمياته امنين على جاري عادتهم في اقامة الصلوات وبناء البيع والاديرة ."٢٣"

ومن المحتمل ان يكون النساطرة قد اختلقوا هذا العهد في مرحلة متأخرة لاسباب سياسية ذات علاقة بالضروف السياسية التي عاشوها وذلك رغبة منهم في التزلف الى الخلفاء والامراء المسلمين .يضاف الى ذلك فان المصادر السريانية الاولية لا تشير الى مثل هذا العهد .وانه من المستحيل ان يعطي الرسول (ص) عهدا مثل هذا في وقت كان فيه الاسلام محدوداً في جزيرة العرب,بل حتى عندما مات الرسول(ص) كانت هناك مناطق في شبه جزيرة العرب لم يصلها الاسلام.

وورد في بعض المصادر النصرانية صورة كتاب زعم ان الرسول (ص) كتبه للنصارى كافة في المشرق والمغرب ,مختوم بخاتم الرسول"٢٤" .وهذا الكتاب مصنوع لا شك في ذلك لان اسلوبه ركيك وفيه الكثير من التكرار الممل في حين ان اسلوب الانشاء العربي انذاك كان سلساً فصيحاً خالياً من الاطناب والتكلف وكانت الخطابات والعهود كلها من السهل الممتنع"٢٥" . يضاف الى ذلك فان الكتاب طويل جداً يشغل اثنا عشر صفحة من القطع المتوسط ,مما يخالف المألوف من كتب الرسول (ص) وان شهود النص لم ترد في كتب الرسول الاخرى .

وفي النص تحامل كبير على اليهود ومدح وثناء على النصارى بحيث يظهر للقارئ ان النصارى أدّوا دوراً مهما في انجاح الدعوة الاسلامية وهذا امر مشكوك فيه ؛اذ لم تذكر لنا المصادر التاريخيه ان النصارى قدموا اية مساعدة للدعوة الاسلامية,اللهم الا المهاجرين الى الحبشة فانهم نالوا حماية حاكمها .

ولم ترِ كتب السيرة ان الرسول(ص) اعطى عهداً لكافة النصارى على ما نعلم ؛ اذ ليس من المعقول ان يعطي الرسول عهداً لكافة النصارى في الشرق والغرب في الجبال او في السهول والاسلام بعد لم يخرج من جزيرة العرب. بل حتى عندما مات الرسول (ص) كانت هناك مناطق من الجزيرة لم يصلها الاسلام.

وعند مقارنة نماذج لعهود الرسول لنصارى ايله ومقنا ونجران التي وردت في كتب السير والتاريخ نجدها مختلفة عن هذا النص في سبكها . يضاف الى ذلك فان نصوص العهد المنسوب للخلفاء الراشدين او لعمر بن عبد العزيز لم تتطرق لهذا العهد . فلو كان هناك عهد لذكروه , وبنو عليه عهودهم مع النصارى .

ولو قارنا هذا العهد بعهود اخرى زعموا ان الرسول اعطاها للنصارى لظهر لنا زيف هذه العهود .ومن هذه العهود عهد ورد في مجلة المشرق"٢٦" وعهد اخر روته مجلة روضة المعارف"٢٧" .فالنص الذي جاء في المجلة الاخيره يتفق مع النص الذي روته المجلة الاولى في امور ويختلف عنها في امور اخرى .ومعنى ذلك ان واضعي العهد تصرفوا فيه كيفما شاءوا بحيث اصبح من النادر ان نجد سطرين بمنطوق واحد .ولو قارنا نص عهد ادي شير مع نص مجلة المشرق ونص روضة المعارف لظهر لنا ان هذا العهد يشبه العهدين السابقين في نواحي ويختلف عنها في نواحي اخرى فهو مثلا يشبه نص روضة المعارف :-"وانا ادخلهم في ذمتي وميثاقي واماني...والخراج الا ما طابت به انفسهم وليس عليهم اجباراً ولا كرهاً ولا اكراه على شيء " .

وهناك عهد اخر نسب للرسول(ص)"٢٨" ولو قارنا نصه بنص اخر يوجد في مخطوط في مكتبة المتحف العراقي العامة"٢٩" لوجدنا فرقاً في اللفظ وتسلسل العبارات .وعلى النص نقد شديد فيما يخص اسلوبه اذ لم يكن من اسلوب النبي (ص) ان يقول (وبه نستعين) في كتبه لان هذا الاسلوب من اساليب المتأخرين ,ثم ان هذا العهد يسمي ابا الرسول عبد المطلب وهذا خطأ .

ويتسرب الشك الى بعض العهود ولاسيما العهد الذي روته مجلة روضة المعارف والعهد الذي رواه المسعودي .فالمجلة تذكر ان العهد كتب بخط معاوية سنة ٤هـ /٦٢٥م في حين ان معاوية لم يسلم الا سنة ٨ هـ /٦٢٩م عندما دخل الرسول(ص) مكة .يضاف الى ذلك فان التاريخ الهجري لم يكن مستعملاً في عهد الرسول ولا في عهد ابي بكر (رض) وانما وضعه عمر بن الخطاب(رض)"٣٠" فهل يعقل ان معاوية الذي لم يكن مسلماً انذاك يكتب للرسول؟

.ولم يذكر اي مؤرخ ان التاريخ الهجري كان معروفاً ايام الرسول(ص) . والمعروف ان توريخ الكتب بالتاريخ الهجري انما ظهر ايام عمر بن الخطاب ولهذا فالعهد باطل .

ومن يدقق في اسماء الموقعين على العهد يجد فيه اسماء مصحفة كسعيد بن عبادة يريدون به سعد بن عبادة ,وحسن بن ثابت يريدون به حسان بن ثابت .في حين لم يرد في اي عهد من عهود النبي(ص) اسم حسان كشاهد .

وتختلف هذه العهود بعضها عن البعض الاخر حتى في محتوياتها ؛فالعهد الذي يرويه (جورج كراف) فيه امور لا توجد في العهود الاخرى مثل (ويكونوا كتبة وامنا عند السلاطين والملوك والاولياء المقدمين وسائر حكام الارض جميعاً)"[٣١]" في حين لا توجد مثل هذه التوصية في بقية العهود المنسوبة للرسول والتي في متناول ايدينا .

ويلاحظ الباحث اختلافاً في كمية المبالغ المفروضة على النصارى والتي تقول العهود المزعومة ان الرسول حددها على اغنياء النصارى ,فالعهد الذي يرويه (جورج كراف)يقول :-"...ومن كان تاجراً ومسيراً بالمال والجواهر في البر والبحر تكون جزيته سبعة دراهم في كل عام من غير زيادة "[٣٢]" .في حين ان العهد الوارد في كتاب التاريخ السعردي يحدد مقدار الجزية على الاغنياء باثني عشر درهماً اذ يقول :-"ولا تتجاوز جزية اصحاب العقارات والتجارات العظيمة في البحر والعرض واستخراج معادن الجوهر والذهب والفضة وذوي الاموال الفاشية من ينتحل النصرانية اكثر من اثني عشر درهماً من الجمهور في كل عام "[٣٣]" .في حين اني بقية النسخ من العهود لا تحدد المبلغ المفروض على النصارى بالاضافة الى ذلك فان الرسول (ص) لم يأخذ الجزية من اهل الذمة الا بعد سنة ٨هـ /٦٢٩م "[٣٤]" .

ويذكر العهد الذي يرويه (جورج كراف)اموراً لانجدها في العهود المنسوبة للرسول(ص), فقد جاء في العهد:- "لايجوز ان يكون النصراني عبداً للمسلم "[٣٥]" . في حين ان بقية العهود المنسوبة للرسول (ص) لاتذكر ذلك .

ولو كان الرسول قد عاهد النصارى بهذا العهد لما هجر الخلفاء بعد وفاته النصارى من بلاد العرب استناداً الى قول الرسول :-"لا يجتمع في جزيرة العرب دينان "[٣٥]" .

ولاتذكر المصادر الاسلامية اسماء من ذكرهم المسعودي في جملة من حضر وفد نجران للرسول (ص) بل روت اسماء اخرى وهم :-العاقب ,واسمه عبد المسيح , والايهم , وابو حارث ابن علقمة احد بني بكر بن وائل"[٣٦]" .واوس,والحارث ,وزيد , وقيس,ويزيد,ونُبيه ,وخويلد ,وعروة ,وخالد,وعبد الله,ويحنس"[٣٧]" .

ولجرجي زيدان رأيه بهذه العهود اذ يقول :-"والغالب في اعتقادنا ان النبي اذا كان قد اعطى عهداً للنصارى والرهبان عموماً فهو غير هذا العهد .او لعله كان مختصراً وطولوه او تنوسيَ وضاع اصله فكتبوه من عندهم .او ان النصارى وضعوا هذا العهد من عند انفسهم لغرض سياسي ...فضلا عما في عباراته والفاظه ما لم يكن معروفاً في صدر الاسلام خصوصاً في السنة الثانية للهجرة"[٣٨]" .

وعلى كل حال فقد حضى النصارى بمحبة الرسول (ص) والمسلمين وفضلوهم على اليهود للاسباب الاتية:-

١-كان اليهود جيراناً للعرب في يثرب وغيرها ,وعداوة الجيران كعداوة الاقارب "في شدة التمكن وثبات الحقد "[٣٩]" . ويعادي الانسان بطبيعته من يعرف ويبدي عيوبه و"على قدر الحب والقرب يكون البغض والبعد" "[٤٠]" .وعندما صار المهاجرون جيراناً لليهود وقد كان الانصار متقدمي الجوار ,حسدهم اليهود على الاتحاد بعد التفرقة والمحبة بعد العداوة وعلى نعمة الدين والتواصل .فمالئوا الاعداء وتجاوزوا على الطعن بالمسلمين وبذلوا جهدهم واموالهم للكيد عليهم"[٤١]" .

٢-وكان النصارى لبعد ديارهم عن مبعث النبي (ص) ومهاجره " لايتكلفون كيداً ولا يجمعون على حرب "[٤١]" .فادى ذلك الى غلظ القلوب على اليهود ولينها على النصارى. ثم ان حماية الاحباش النصارى للمهاجرين حبب النصارى الى المسلمين و"كلما لانت القلوب لقوم غلظت على اعدائهم.وبقدر ما نقص من بغض النصارى زاد بغض اليهود .ومن شأنها حب من اصطنع لها خيراً او جرى على يديه ,اراد الله بذلك ام لم يرده وبقصد كان او باتفاق "[٤٢]" .

٣-انتشرت النصرانية بين العرب قبل الاسلام اكثر من اليهودية "فقد غلبت ...على ملوك العرب وقبائلها ..."[٤٣]" .

ولما ظهر الاسلام لم تكن اليهودية الا عند بعض ناس من اليمانية وقلة يسيرة من قبائل معدودة .

٤-وبينما رفض معظم اليهود الاعتراف بنبؤة محمد(ص) اعترف به جماعة من النصارى بعد خيبر"[٤٤]" .

هوامش البحث :

١-المائدة/٨١.

٢-تحقيق مصطفى السقا واخرون ,ج٤(القاهره,١٩٣٦) ص٣٢ .

٣-المصدر نفسه والصفحة.

٤-والوسق يعادل حمل بعير.انظر لسان العرب مادة(وسق) .

٥-الحيدر ابادي ,محمد حميد الله ,مجموعة الوثائق السياسية (القاهره,١٩٥٦) ص ص ٥٣ـ٥٤ .
٦-الواقدي ,مغازي الواقدي ,ج٣ ,تحقيق مارسدن جونز(اوكسفورد,١٩٦٦) ص١٠٣١ .الحيدر ابادي ,المصدر السابق ,ص٥٥ .
٧-المصدر نفسه والجزء والصفحة,وانظر ابن هشام ,المصدر السابق ج٤ , ص١٦٩ ,
٨-الطبري ,تاريخ الطبري ,ج٣ ,تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم (القاهره,١٩٦٩) ص١٠٩ ,ابن هشام ,المصدر السابق,ج٤ ,ص١٧٠ ,البلاذري ,فتوح البلدان(القاهره,١٩٥٩) ص٧٤ .
٩-ابو يوسف ,الخراج ,الطبعة الثانية (القاهره,١٣٥٢هـ)ص ص٧٢ـ٧٣ ,ابو عبيد القاسم بن سلام ,الاموال ,تحقيق خليل هراس ,(القاهره,١٩٦٨) ص ص٢٧٢ـ٢٧٣ .قارن البلاذري ,فتوح البلدان (القاهره,١٩٥٩) ص ص٧٥ـ٧٦ .
١٠-وات, منتغمري ,محمد في المدينة ,ترجمة شعبان بركات(بيروت) ص١٩٣ .
١١-ابن سعد ,الطبقات ,ج١ (بيروت,١٩٥٧) ص٣١٦ ,الطبري ,المصدر السابق ,ج٤ ,ص ص٥٥ـ٥٦ .
١٢-التبريزي ,شرح المعلقات العشرة (كلكتا ,١٨٩٤) ص١٠٨ .
١٣-الواقدي ,المصدر السابق,ج٣ ,ص١٠٣٢ ,الحيدر ابادي ,المصدر السابق ,ص٥٦ .
١٤-البلاذري ,المصدر السابق ,ص٧١ ,والعروك خشب يصطاد علية ,الحيدر ابادي ,المصدر السابق,ص ص ٥٧ـ٥٨ ,وقارن ص ص٥٩ ـ٦١
١٤أ-المصدر السابق ,ص٧٢.
١٥-ابن هشام,المصدر السابق,ج٤,ص ص ٢٧٢ـ٢٧٣ ,الواقدي ,المصدر السابق ,ج٢ ,ص٧٧٠ .وانظر: M.watt , Muhammed at Medina (Oxford,1957) P P 319 .106—107 .
السهيلي ,الروض الانف في شرح السيرة النبوية ,ج٤ ,(القاهره,١٩٧٢) ص٢٣٩ . البلاذري المصدر السابق ص٧١ .
١٦-الحيدر ابادي ,المصدر السابق ,ص٥٢ .
١٧-وات ,المصدر السابق ,ص٤٨٧ .
١٨-الواقدي ,المصدر السابق ,ج٢ ,ص٧٦٠ .وانظر ابن هشام ,المصدر السابق ج٤ ,ص١٩ .
١٩-سورة التوبة /٢٩ـ٣٢ .
٢٠-وات,المصدر السابق,ص٤٨٧ .
٢١-الطبري,المصدر السابق ,ج٣ ,ص١٢٠ ,ابن هشام المصدر السابق ,ج٤ , ص٢٣٦ .
٢٢- M. Watt ,op.,cit.,pp.126—127
٢٣- ابن متي , عمرو , اخبار بطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل (روما , ١٨٩٦) ص ص ٥٤ ــ ٥٥, وانظر بنفس المعنى ابن سليمان , ماري , اخبار فطاركة كرسي المشرق من المجدل (روما , ١٨٩٩) ص ص ٦١-٦٢ .
٢٤- شير , ادي , التاريخ السعردي , المجلد الثاني (باريس ,١٩١٨) ص ٢٨١ فما بعد , الحيدر آبادي , الصدر السابق ص ص ١١٧-١٢٨ .
٢٥-زيدان,جرجي ,اداب اللغة العربية ,ج١ ,الطبعة الثالثة ,١٩٣٦ ,ص١٨٥ .
٢٦-المجلد ١٢ العدد الثامن ,(بيروت,١٩٠٩)ص ص ٦١٥ـ٦١٦ .
٢٧-العدد ١٣ السنة الاولى ,ص ص٢٨٩ـ٢٩٥ ,وانظر الحيدر ابادي ,المصدر السابق ,ص ص ٣٧٠ ـ٣٧١.
٢٨-كراف,جورج ,نسخة العهد الذي اقطعه محمد (لايبزك ,١٩١٨) ص١٨٢ .
٢٩-تحت رقم ٣٢٣ .
٣٠-اليعقوبي,تاريخ اليعقوبي ,ج٢ ,(بيروت,١٩٦٠) ص١٤٥ ,العسكري,ابي هلال ,الاوائل (طنجة)ص١٢٢.
٣١-نسخة العهد الذي اقطعه محمد ,ص١٨٣ .
٣٢-المصدر نفسه والصفحة .
٣٣-المصدر السابق,ج٢ ,ص٦١٣ .
٣٤-ابن القيم الجوزية ,زاد المعاد في هدى خير العباد ,ج٣ (القاهره,لات) ص٢٢٣
٣٥- المصدر السابق,ص١٨٤ .
٣٥أ-اليعقوبي,المصدر السابق,ج٢ ,ص١٤٥.
٣٦-ابن هشام ,المصدر السابق,ج٢ ,ص٢٢٣ .
٣٧-المصدر نفسه والجزء,ص٢٢٤ .

٣٨-التمدن الاسلامي,ج٤ ,(بيروت,١٩٦٧) ص٣٨٠ .
٣٩-الجاحظ, ثلاث رسائل (القاهره,١٣٨٢هـ) ص١٣ ,وعن عداء اليهود للمسلمين في عصر الرسالة انظر على سبيل المثال البلاذري,المصدر السابق, ص ص٣١ـ٣٢ ,٣٥ـ٤٨ .
٤٠-الجاحظ,المصدر نفسه والصفحة.
٤٠أ-ابن هشام ,المصدر السابق,ج٢, ص١٦٠ .
٤١-الجاحظ,المصدر السابق,ص١٤ .
٤٢-الجاحظ,نفس المصدر والصفحة .
٤٣-المصدر نفسه,ص١٥ .
٤٤-وات, منتغمري,المصدر السابق , ص٤٨٣ .

المصادر[١] والمراجع

أ/المصادر:-

١-البلاذري ,ابو حسن ,فتوح البلدان (القاهرة,١٩٥٩) .
٢-التبريزي ,يحيى بن علي ,شرح المعلقات العشرة (كلكتا,١٨٩٤) .
٣-الجاحظ,عمرو بن بحر ,ثلاث رسائل (القاهرة,١٣٨٢هـ) .
٤-ابن سعد ,ابو عبد الله محمد ,الطبقات الكبرى ,ج١(بيروت,١٩٥٧) .
٥-السهيلي ,عبد الرحمن ,الروض الانف في شرح السيرة ,ج٤ (القاهرة,١٩٧٢).
٦-الطبري,محمد بن جرير ,تاريخ الطبري ,ج٣,تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم (القاهرة,١٩٦٩).
٧-ابو عبيد ,القاسم بن سلام ,الاموال ,تحقيق خليل هراس (القاهرة,١٩٦٨).
٨-شير ,ادي ,التاريخ السعردي ,م٢ (باريس,١٩١٨) .
٩-ابن القيم ,شمس الدين ابو عبد الله ,زاد المعاد في هدى خير العباد ,ج٣ (القاهرة,لات) .
١٠-ماري بن سليمان ,اخبار فطاركة كرسي المشرق من المجدل (روما,١٨٩٩).
١١-ابن متي الطيرهاني ,عمرو ,اخبار بطاركة كرسي المشرق من المجدل (روما,١٨٩٦) .
١٢-ابن هشام ,ابو محمد عبد الملك ,السيرة النبوية ,تحقيق محمد مصطفى السقا واخرون (القاهرة,١٩٣٦) .
١٣-الواقدي,ابو عبد الله محمد ين عمر ,مغازي الواقدي ,ج٣ ,تحقيق مارسدن جونز (اوكسفورد ,١٩٦٦) .
١٤-اليعقوبي ,احمد بن ابي يعقوب بن جعفر ,تاريخ اليعقوبي ,ج٢ (بيروت,١٩٦٠) .
١٥-ابو يوسف ,يعقوب بن ابراهيم ,الخراج ,الطبعة الثانية (القاهرة,١٣٥٢هـ

بـ/المراجع العربية والمترجمة:٠

١-الحيدر ابادي ,محمد حميد الله , مجموعة الوثائق السياسية (القاهرة,١٩٥٦).
٢-زيدان,جرجي أ)اداب اللغة العربية,ج١,الطبعة الثالثة (بيروت,١٩٣٦).
بـ)التمذدن الاسلامي ,ج٤ (بيروت,١٩٦٧).
٣-وات ,منتغمري ,محمد في المدينة ,ترجمة شعبان بركات (بيروت).
٤-كراف ,جورج ,نسخة العهد الذي اقطعه محمد للنصارى (لايبزك,١٩١٨).

جـ/المجلات العلمية :-

١-مجلة المشرق ,المجلد ١٢ ,العدد الثامن (بيروت,١٩٠٩) .
٢-مجلة روضة المعارف ,العدد ١٣ السنة الاولى .

ء/المراجع الغير مترجمة :-

M.Watt. Muhammed at Medina ,(Oxford,1957).

(١) استبعدت كلمة(ابن) و (ابو) من اصل الاسم عند ترتيب اسماء المؤلفين الا اذا كانت تشكل الاسم الاصلي للمؤلف